الفصل الرابع (مصائب متتالية)

فتح وليد عيونه بصعوبة بالغة يحاول تبين ما حوله و يحاول تحريك يده و لكنه شعر بأنها ثقيلة تماماً كجفونه و كأن جبلاً فوقهما يحاول فتحهما و الصورة أمامه مهزوزة كعدسة كاميرا مهشمة و لكن رويدا رويداً اتضحت قليلاً فرأي فجأة أمامه ذلك الرجل المنير وجهه أمامه و لكن صورته باهته و بالكاد سمعه وهو يقول بصوت قريب من الهمس :" يا ولدي لا أستطيع التحدث كثيراً و أثق بأنك بالكاد تراني لقد علموا بوجودي من حكيت له عني , اسمعني سريعاً هو منزل قديم في حارة قديمة ابحث عنه حاربه ولا تصدق من أرسله إليه ذاك ليس مبعوث من القدر كما يقول إنه شيط..." و فجأة اختفي من أمامه , رفع وليد يده بصعوبة بالغة و كأنه يحاول الإمساك بصورته الباهتة و لكن دون جدوى و أشاح بنظره ببطء ناحية باب الغرفة فرأي خطيبته تغرقها دموعها حتى روت الورد الذي تحمله له ابتسمت حينما وجدته قد فتح عيونه بفرحة ولكنه لم يبادلها الابتسام لشعوره بكرهها حقاً , خرج وليد من المشفى في نفس الليلة و لكن بجَزعٍ في قدمه اليسرى و إلتواء بسيط في يده وضعه صديقه سامح في سريره متمنياً له الشفاء العاجل و أصر علي المبيت معه وقبل خلود وليد للنوم قال لسامح:" لقد رأيته مرة أخري " رد سامح :" رأيت مَنْ يا وليد " قال وليد :" الرجل ذو الملابس البيضاء و لديه تلك اللحية البيضاء و الحسنه التي تميز خده الأيسر بحجمها الكبير وقال كلاماً .. كلاماً غير مفهوم لا أتبينه " ابتلع سامح ريقه في غيظ و هو يجز علي أسنانه و يفكر :" من هذه الروح اللعينة التي تدخلت و ستخرب كل مخططاتي و تريد

مساعدة ذلك الغبي " ثم قال :" وليد يا صديقي يجب أن تستريح الآن أنت متعب و كما قلت لك سابقاً و غضبت مني تلك كلها خرافات و ترهات بسبب انغماسك في عملك بشدة هذه الفترة نام يا صديقي استرح " و بالفعل أغمض وليد عيونه و لكن غير مقتنع بكلام سامح و حينما تأكد سامح بأنه قد نام و لو قليلاً قام من مكانه و هو ينظر إليه في حنق شديد في ضوء تلك اللمبة ضعيفة الإنارة و رفع يديه حول عنقه و هو يجز علي أسنانه وهو يقول لنفسه :" هل ألف يدي حول عنقك و أضغط لتموت و لكن لا الموت يريحك مما أريد فعله بك " ثم استدار و أتجه ناحية مكتب وليد فوجد عليه صورة تجمعهم معاً و هم صغار داخل إطار مزخرف جميل فأمسك بها و ضغط عليها حتى كاد يكسر زجاجها و هو يتذكر تلك الأيام , يتذكر كيف كان يُدافع عن وليد و يضرب من يضربه في المدرسة كبرا معاً لأبين متيسرين مادياً و لكن في مرحلة الثانوية العامة خسر والد سامح معظم ثروته إلا القليل الذي عاش به سامح ووالدته و لكن والد وليد ازداد ثراءاً و كانوا يذاكرون معاً و ساعد وليد سامح في عثراته خاصة المادية و لكن سامح كان يشعر بأنها مِنه و صدقة منه , و رغم أنهما ذاكرا معاً و بعد كل امتحان كانا يراجعان الإجابة معاً و هو نفس الحل و لكن وليد حصل علي مجموع مرتفع و دخل كلية الهندسة كما كان يتمني و حصل سامح علي مجموع منخفض جعله يدرس في كلية التجارة و سبب ذلك إحباط كبير له و أكثر إحباطاً لوالده الذي عَوَلْ عليه ليعوضه عما خسر و شعر سامح بأن صديقه قد خان ثقته و كذب عليه في أمر إجاباته في الامتحانات , و ما زاد الأمر سوءاً هو موت والد سامح بسبب السجائر التي أدمنها بشراهة بسبب حالته النفسية السيئة , و بعدها بشهور حدثت الفاجعة عندما قرر وليد أن يخطب حنان حب سامح الأبدي منذ الصغر حينما صرح له سامح بأنه

نسيها و ما عاد يحبها قال ذلك لعلمه بأنه لا يستطيع تدبير نفقات زيجة و هو يتحمل مسئولية عائلته , كَبُرْ كُره و حقد سامح لوليد و لم يجذبه من حالة استرجاعه للذكريات تلك سوي صوت والدة وليد تناديه قالت:" سامح يا ولدي أناديك منذ فترة لم لا ترد" أجابها :" أعتذر يا أمي كنت أتذكر هذه الصورة الجميلة و أيام الصبا " ردت بتنهيدة طويله و بعدها قالت :" أجل يا سامح يا ولدي كان وليد نِعم الولد طوال عمره لا أدري ما حدث له في الفترة الأخيرة تغير معي تغير بشكل سيء أتدري أنه حتى لم يلحظ إصابتي بالحروق حتى " و اغرورقت عيون أم وليد بينما أفرح كلامها سامح كثيراً و قال في نفسه :" يا إلهي تشتكي و تنعي الآن و أنا أريد أن أنام " و لكنها استدارت و ذهبت ناحية ولدها ووضعت يدها فوق رأسه و قرأت آية الكرسي فلم يزوره ذلك اللعين الذي ينفث في عقله تلك الأفكار المسممة و لكنه تبين كلمات ذلك الرجل البشوش الوجه , تذكر ما قال في المشفى هي كلمات متقاطعة و لكن بربطها ببعضها ربما يتبين شيء ما , حاول ربطها ببعضها و لكن دون جدوى , و في اليوم التالي كان أفضل حالاً و قرر الذهاب إلي عمله كي ينسي ما هو فيه و لكنه اتخذ قراراً كاد أن يودي بحياة ثلاثة عمال و لكنهم أُصيبوا فقط تعجب زملائه هو عادةً لا يأخذ قرارات متهورة دون دراسة كذاك القرار و ما يذبح وليد بحق هو أن يؤذي الآخرين , فبسرعة بعد نقلهم للمشفى بسيارة الإسعاف ركب سيارته و قادها بسرعة و هو يشعر بتعب كبير و هو يبكي و يفكر :" ماذا يحدث لي ؟ هل هي كما يقول سامح خرافات خيالات " ثم قرر الذهاب إلي عمه الطبيب النفسي و حكي له ما هو فيه منذ فترة و قرر عمه أنه مصاب بهلاوس و يجب علاجه و قرر حجزه في المشفى الذي يعمل به و كانت والدة وليد قد شكته منذ البداية لعمه فكرت عل السبب نفسي لتصرفاته , و

لكن وليد لم يُرد ذلك فحجزه عمه بالقوة بمساعدة الممرضين و هم في الطريق لحبسه في غرفة خاصة به ضربهم و جري و خرج من المشفى و قاد سيارته بسرعة حتى وصل لمنزله فوجد خطيبته رآها تضحك مع والدته مع أنهم لم يكونوا يضحكون بل كانت أم وليد قلقه للغاية تفكر بعد مهاتفة عم وليد لها و إعلامها بما حدث يا تري إلي أين ذهب ولدها , نظر إليهم في غضب ثم وجه كلامه لأمه قائلا:" لماذا فعلتِ ذلك؟ أنتِ تقفين ضدي طوال عمري و لم تحبينني قط كابن لك " و علا صوته فحاولت خطيبته تهدئته قائله :" وليد ماذا تقول لقد كانت أمي قلقه جدا عليك و..." رد بغضب شديد عليها :" اصمتي أنتِ هل تظنين أني أحبك أنا لم أعد أحبك قط" ثم خلع خاتم الخطبة و رماه في وجهها فنظرت إليه نظرة جريح بعيون دامعة ثم تركتهم و رحلت , وقفت والدته مذهولة و لا تعرف ماذا عليها أن تقول و ماذا عليها أن تفعل و لكنه بادرها قائلاً:" لماذا تحدثتي إلى عمي هل أنا مجنون أنا لست مجنوناً لست مجنوناً " ثم رمي الكرسي علي الأرض كسره بعصبيه ثم نزل إلي مكانه المفضل في قبو المنزل فهم يسكنون في بيت العائلة و هناك اكتشف شيء غير كل شيء ..